# الفصل الخامس

# "طريق الحج المصرى"

obeikandl.com

obeikandl.com

## بداية الطريق :

هذا الدرب المهم لم يكن للحجاج المصريين فقط فهو درب لحجاج ليبيا وتونس والمغرب العربي ، وأحياناً يسلكه حجاج أفريقيا من غانة وبلاد التكرور وغيرهم ، بل كان هو درب الحجاج الأندلسيين، ولذلك فالدرب المصرى يبدأ يبدأ من الطريق الأفريقى الشمالى مروراً بالطريق البحرى المصرى إلى مكة المكرمة .

وعن بداية طريق الحاج الإفريقي: ذكر المؤرّخ المصري تقي الدين المقريزي في كتابه الخطط: أن هذا الطريق (الطريق البحري المصرى إلى مكة) ظلّ مسلكاً للحجاج من سنة ٤٥٠هـ إلى سنة ٦٦٠هـ، ومع انتهاء الوجود الصليبي في مصر والشام عاد الحجاج إلى استخدام طريق سيناء والبحر الأحمر مرةً ثانيةً لنشاطه.

تبدأ القوافل حجاج بلاد المغرب الإسلامي بالانطلاق من مدن المغرب، كمراكش، وفاس، وسلا ، شكل (١٠) وأحياناً كانت تضم حجاج السنغال، وبعد تجمُّع الحجاج تنطلق قافلتهم سالكةً إما الطريق البرّي المحاذي للبحر المتوسط، أو الطريق البحري عبر البحر المتوسط"[١١٤]".

---

[114]- أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى : ٨٤٥هـ) ، الخطط المقريزية: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الكتاب من النصوص الحرة. book=554&http://www.shamela.ws/open.php?cat=27

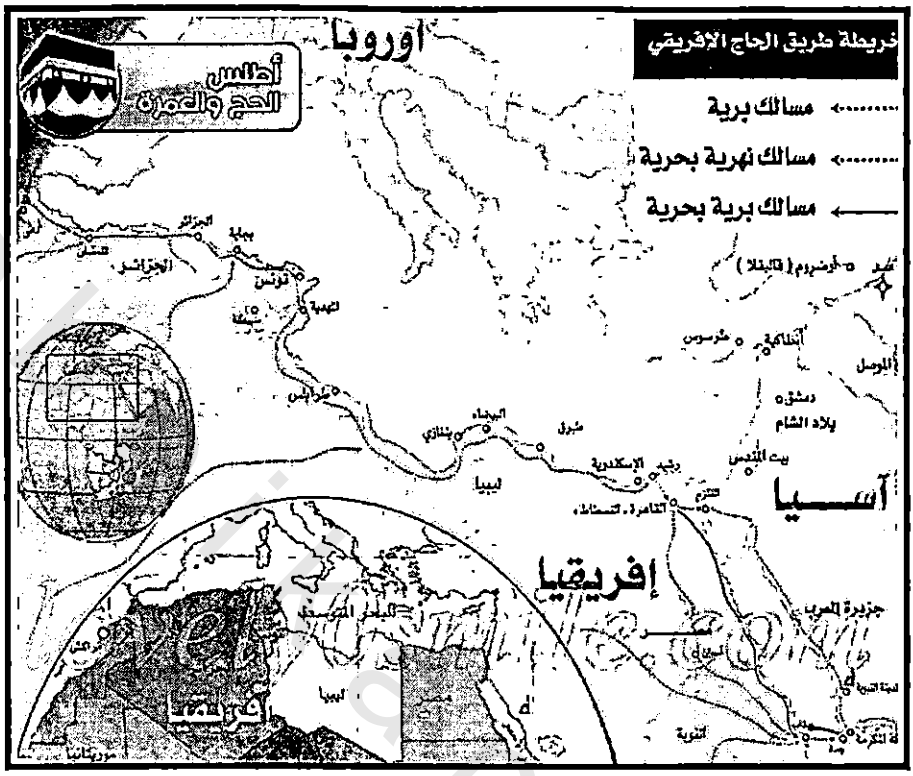


شكل (١٠) دروب حج الشمال الإفريقى الموصلة للطريق المصرى .

واعتادت هذه القافلة أن تكون على موعد مع غيرها من قوافل الحج للحجاج الجزائريين، والتونسيين، والليبيين؛ وذلك لمرور طريق الحج بمدن المهدية، وصفاقس، وسوسة، وطرابلس وبرقة، وطبرق، ثم تعبر هذه القوافل مجتمعةً الأراضيَ المصرية بمحاذاة الساحل حتى تصل إلى ميناء الإسكندرية، ثم رشيد، وبعدها تركب قوافل الحجاج المراكب النيلية عبر فرع رشيد، إلى أن تصل جميعها إلى القاهرة، وتلتقي مع قافلة الحج المصرية حتى تأنس بها ذهاباً وإياباً عند مكان شمالي القاهرة كان يُعرَف

آنذاك ببركة الحاج، وموقعه حالياً القرية المعروفة باسم البركة، إحدى قُرى مركز شبين القناطر محافظة القليوبية.

كان الخروج للقافلة المصرية إلى مكة عن طريق البر فى موسم الحج يسبقه النداء الذى محتواه "يا معشر المسلمين ، جل موسم الحج ، وسيجهز ركب السلطان كالمعتاد وسيكون معه الجنود والخيل والجمال والزاد" وهذا النداء كان يتم فى شهر رمضان فى عهد ناصر خسرو أما فى عهد المقريزى فكان ينادى بذلك فى شهر رجب ، وبعد أن يستكمل الحجاج استعداداتهم يبدأون السفر من القاهرة فى أول ذى القعدة[١١٥] .

**الاحتفال المصري بالمحمل وكسوة الكعبة :**

المحمل المصرى"[١١٦]" هو الموكب الذي كان يخرج من مصر كل عام حاملا كسوة الكعبة فى احتفال مبهر كما فى الشكل (١١) وظل هذا المحمل يخرج منذ عهد شجر الدر وعهد المماليك حتى بداية عهد جمال

---

115– ٦٤– على باشا مبارك ، الخطط التوفيقين ، الجزء التاسع ، ص ١٦ .

116 – المحمل فى لغة: شقتان على البعير يحمل فيهما العديلان ومنها الهودج التي هي مراكب للنساء على الجمال وهو يختلف عن المحفة من حيث إن المحفة لا سقف لها في حين أن الهودج له سقف (مقبب). وبالنسبة لقافلة الحج فإن اصطلاح المحمل يعني؛ هيكلا خشبيا يعلوه هرم أو قبة مزين بالحلي والنفائس يحمله جمل قوي مزين هو الآخر بمختلف أنواع الحرير ومغطى بفاخر القماش. وكان بداخل المحمل مصحف مغطى بالحرير. مع ذلك فان (المحمل) هذا لم يكن يشكل جزءا من طقوس الحج ولا من متطلبات قافلة أو ركب الحج وكذلك لا يستفاد منه للركوب بل ولا ينقل فيه شيء من المتاع أو الأغراض المتعلقة بالقافلة أو بأمير الحج بل كان كل ما (يحمل) فيه هو نسختان من القرآن الكريم. فهو والحال هذه لا يعدو عن كونه رمزا يمثل السلطة التي يعود إليها ركب الحج المصاحب للمحمل .

عبد الناصر"[١١٧]". ومن الخطأ الاعتقاد بان دور مصر في كسوه الكعبه بدا فقط مع الخلافة الفاطمية التي اتخذت القاهرة عاصمة لها، بل بدا الدور المصري قبل ذلك بقرون وفي عهد ثاني خلفاء المسلمين الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان يوصي بكسوة الكعبه بالقماش المصري المعروف بالقباطي الذي اشتهرت بتصنيعه بالفيوم. والقباطي نسبه الي قبط مصر، وكان المصريون ماهرين في نسج أفضل وافخر أنواع الثياب والأقمشة، كان يعقد الاحتفال السنوي بالمحمل؛ مع قرب موسم الحج.. وكانت مصر هي ملتقى حجاج المغرب، والأندلس، وجميع دول شمال إفريقيا.. حيث يتجمعون هناك في عدة مناطق بالقاهرة..مثل: جامع أحمد بن طولون، وعند بركة الحج (وهي الآن منطقة حدائق القُبَّة) ويأتي أمير الحج الذي سيكون مسئولاً عن بعثة

---

[117]- وقد يعتقد البعض ان نبي الله إسماعيل نجل أبو الانبياء إبراهيم "عليهما السلام" هو أول من كسا الكعبه ولكن هذه المعلومة تعوزها الدقة لأنه ليس من الثابت تاريخيا من الأساس ما إذا كان إسماعيل عليه السلام كساها جزئيا ام لم يتم كساؤها، علي اعتبار انه لم يؤمر بذلك. ولكن من الثابت تاريخيا ان الملك اليمني اسعد تبع ابي كرب ملك حمير، هو أول من كسا الكعبه المشرفه بشكل كامل في العام ٢٢٠ قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم اخذت قريش فيما بعد تتولي هذه المهمة وكانت تقسم اموال كسوه الكعبه علي بطونها الكبري باعتبار ان الكعبه كانت رمزا دينيا يجلب لهم الحجيج من جميع أنحاء الجزيرة وينشط كذلك حركه التجارة ويحفظ لقريش مكانة دينية دونها اي مكانه اخري، وكان ذلك يتم في يوم عاشوراء. وبعد فتح مكة وفي أول عام يحج المسلمون في العام التاسع من الهجرة، أصبحت كسوه الكعبه مهمة بيت المال في المدينة المنورة.

الحجاج المصريين. وتتجمع الشرطة في حضور عدد كبير من المواطنين، وهم يودعون كسوة الكعبة إلى الأراضي المقدسة [١١٨] .

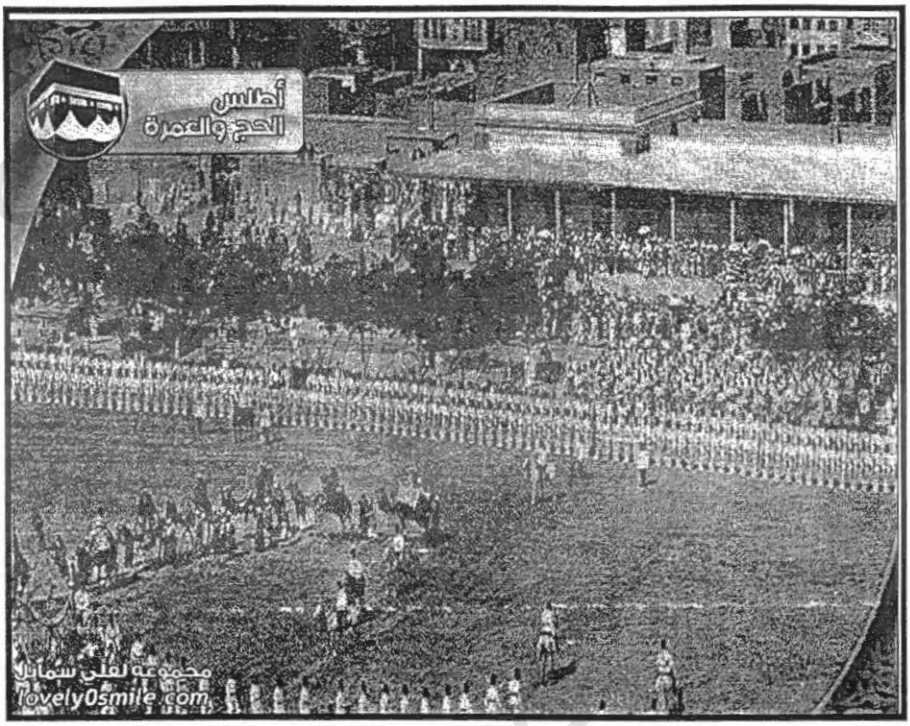


شكل (١١) مراسم الاحتفال بكسوة الكعبة فى مصر .

وعند خروج المحمل كان المحمل يطوف الشوارع قبل الخروج إلى الحجاز وكان يصاحب طوفانه العديد من الاحتفاليات كتزيين المحلات التجارية والرقص بالخيول وكان الوالي أو نائب عنه يحضر خروج المحمل بنفسه الذي يحمل كسوة الكعبة التي تعتبر أقدس الأماكن عند المسلمين. وموكب المحمل عبارة عن جمل يحمل المحمل يمر في

---

118- رحلة ناصر خسرو ، فى أماكن متعددة ، نقلاً عن : احمد على الزيلعى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠١ ، ١٠٢ .

شوارع القاهرة ويخرج خلفه الجمال التي تحمل المياه وأمتعة الحجاج وخلفه الجند الذين سيحرسون الموكب حتى الحجاز وخلفهم رجال الطرق الصوفية الذين يدقون الطبل ويرفعون الرايات. والمحمل نفسه هو عبارة عن هودج فارغ يقال أنه كان هودج شجرة الدر أما الكسوة نفسها فكانت توضع في صناديق مغلقة وتحملها الجمال.

ثم تُواصل جميع القوافل مسيرتها برّاً حتى تصل إلى ميناء القلزم (السويس حالياً)، ومنها إما مواصلة الطريق البري عبر سيناء، ثم محاذاة البحر الأحمر برّاً إلى مدينة جدة، أو تبحر القوافل في السفن عبر البحر الأحمر إلى ميناء جدة، ومنها برّاً إلى المدينة، ثم إلى مكة المكرمة ــ شرفها الله تعالى .

## مسار الحج المصرى :

قد تغير مسار الدرب المصري عبر القرون بحسب الظروف السياسية والتطور التقني . وقد قسم علي غبان المراحل التي مر بها درب الحج المصري الى أربع مراحل كما يلى :

### المرحلة الأولى:

وتمتد من الفتح الإسلامي لمصر وحتى منتصف القرن الخامس الهجري وكان للطريق خلالها مساران في الجزيرة العربية:أحدهما داخلي والاخر ساحلي ، وهو الذي ذكره ابن حوقل (القرن الرابع) وصف الدرب في عصره بقوله: ومن مصر الى المدينة على الساحل عشرون مرحلة ومجتمعهم مع أهل الشام بأيلة وفي ضمن المصريين يحج المغاربة وربما

تفردوا بأنفسهم الا انهم يتفقون في مناخ واحد وربما تقدموا فيكون بينهم ان ينزل احدهم ويرحل الآخرون او يتأخرون على هذا السبيل .

ولأهل مصر وفلسطين اذا جازوا مدين طريقان أحدهما الى المدينة على بدا و شغب قرية بالبادية كن بنوا مروان اقطعوها الزهري وبهـا قبـره حتى ينتهي الى المدينة على المروة .

وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة فيجتمع بها أهـل العراق ودمشق وفلسطين وأهل مصر شكل (١٢) وقال القاضـي وكيـع (ت ٣٠٤هجري) معدداً مراحل طريق مصر بقوله: طريق مـصر مـن الفسطاط الى الجب ومن الجب الى الحفر ومن الحفر الى البويب ومـن البويب الى منزل ام سعد ومن منزل ام سعد الى عجرود ومن عجـرود الى القلزم ومن القلزم الى الكرسي ومنها الى الحفر ومنها الى نخل ومنها الى أيلة ومنها يفترق طريق الساحل والبرية فطريق البرية من أيلة الـى شرف البعل ومنها الى مدين ومنها الى فالس ومنها الى الأغر ومنها الى الكلابية ومنها الى بدا ومنها الى شغب ومنها الى السرحتين ومنها الـى السقيا وبها يلتقي طريق الشام ومصر"[١١٩]".

---

[119] – القاضى وكيع " أبو بكر محمد بن خلف بن حيان البغدادى " ت ٣٠٦هـ"، أخبار القضاة ، صححه وخرجه / عبد العزيز مصطفى المراغى ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ج٢ ، ص ٦٠ وما تلاها .

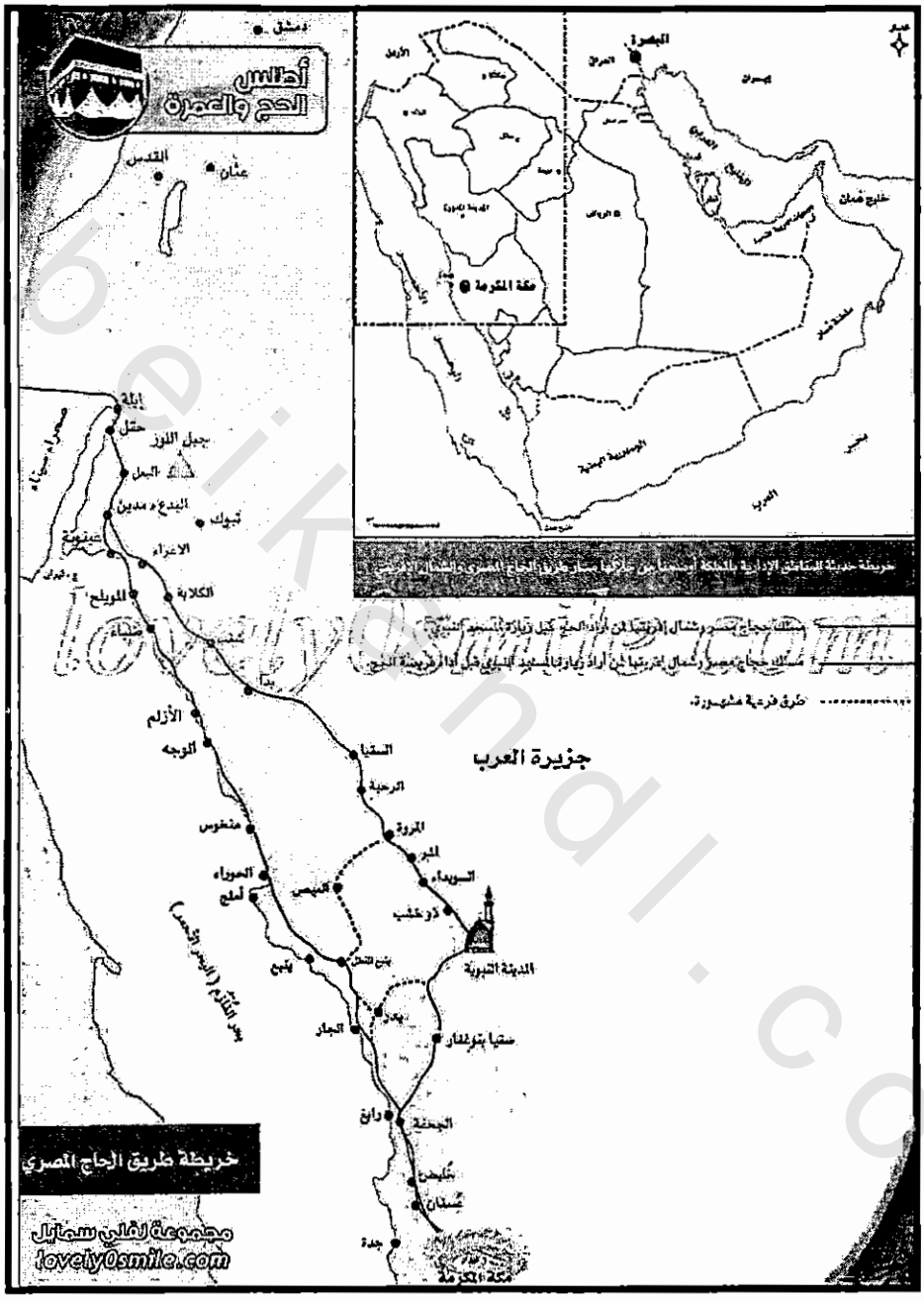


شكل (١٢) طريق الحج المصرى البرى .

وطريق الساحل:من أيلة الى عينونا ومن عينونا الى المصلى ومن المصلى الى النبك ومن النبك الى طبة ومن ظبة الى المرة ومن المرة الى عونيد ومن عونيد الى الوجه ومن الوجه الى منخوس ومن المنخوس الى الحوراء ومن الحوراء الى قصيبة ومن قصيبة الى البحرة ومن البحرة الى ينبع ومن ينبع الى إلى الجار ومن الجار الى المدينة...الخ ، وقد بلغ الدرب الساحلي ذروة مجده من حسن التنظيم وفخامة المركب وعدد الحجاج ذروته في أواخر العهد المملوكي في القرنين التاسع والعاشر.

المرحلة الثانية:

مرحلة طريق عيذاب وتمتد من عام نيف واربعين واربعمائة الى عام ٦٦٦هـ ، وخلال هذه الفترة توقف استخدام الطريق البري في شمال الحجاز وكان الحجاج المصريون يركبون السفن النيلية الى قوص ثم يسافرون بالقوافل الى عيذاب ثم يعبرون البحر الى جدة .

– كانت "الفسطاط" هي مركز التجميع في طريق الحج المصري، وكان ميناء عيذاب هو بداية الرحلة البحرية إلى بيت الله الحرام، وهو أهم الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وكانت ترد إليه مراكب الهند، واليمن، وتغادره بالإضافة إلى مراكب الحجاج الصادرة، والواردة، وقد ظل هذا الميناء طريق الحج الوحيد إلى مكة لفترة زمنية طويلة، يقول المقريزي في خططه: "إن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب"، وكان الحجاج ــ كما وصف ابن جبير ــ يقلعون

في النيل من الفسطاط إلى "قوص" مارين بالعديد من المدن، والقرى على ضفتي النيل – التي كانت تمتاز بكثرة أسواقها، ومرافقها، وكانت ملتقى الحجاج، والتجار من مختلف الأنحاء"[١٢٠]".

وهي رحلة كانت تستغرق ثمانية عشر يوماً في النيل. وكان الحجاج يستريحون بعض الشيء في "قوص"[١٢١]" "وهي مدينة تعد حاضرة ثقافية في مصر الإسلامية"؛ انتظاراً لانتقالهم إلى ميناء عيذاب" على البحر الأحمر بعد أن يتزودوا بما يحتاجون إليه، ويجتمعون في "المبرز"– قبلي قوص – وهناك يتم وزن أمتعتهم، وأثقالهم؛ لتقدر

---

120– المقريزى ، خطط المقريزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥ وما تلاها .

121– قوص مدينة ومركز بمحافظة قنا. وتقع علي الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة بحوالي ٦٤٥ كم، كانت قوص عاصمة للصعيد ومعبر الحجاج إلى البحر الأحمر. يقول عنها عباس محمود العقاد: "ليس في وادي النيل بلد أوفى أخباراً من قوص في المراجع العربية بعد القاهرة والإسكندرية" ، أما في المراجع الأخرى فقوص هي "قيسيت" الفرعونية القديمة ، وهي في اليونانية بلد أبوللون رب الفنون، لأن أبوللون عند اليونان يقابل حورس الأكبر الذي يعتقد المصريون أنه ولد في قوص ، وقوص ذكرها العديد من المؤرخين والرحالة فقد زارها الشريف الإدريسي وأوردها في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" فقال : "ومدينة قوص مدينة كبيرة" كما ذكرها أيضاً الحموي وابن ،فقد قال ابن جبير عنها "وهذه المدينة حفيلة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار أرض الحبشة لأنها مخطر للجميع ومحط للرحال ومجتمع الرفاق" ، بينما يقول عنها العلامة القلقشندي في موسوعته "صبح الأعشى في صناعة الإنشا: " مدينة جليلة في البر الشرقي عن النيل ذات ديار فائقة ورباع أنيقة ومدارس وربط وحمامات يسكنها العلماء والتجار وذوو الأموال وبها البساتين المستحسنة".

الأجرة عليها حيث تحمل أصحابها على ظهور الإبل، ويمكن استخدام غيرها من وسائل النقل عبر الفيافي المقفرة، التي تقل فيها المياه، وكان أصحاب الجاه، والثراء يركبون "الشقاديف" شكل (١٣) ــ وهي أشباه المحامل ــ وأحسن أنواعها اليمانية وهي مجلدة متسعة، يوصل الاثنان منها بالحبال الوثيقة، وتوضع على الإبل، ولها ذراع قد حفت بأركانها، ويكون عليها مظلّة، فيكون الراكب مع عديله في وقاية الشمس المحرقة ، خصوصاً وقت الهاجرة، ويجلس في مكان أو يتكئ، دون أن يشعر بالتعب، ويتناول أحياناً مع عديله الطعام، أو يقرأ في مصحف، أو يلعب شطرنج مع عديله إذا أحبا اللعب؛ للترويح من عناء السفر. أما أغلب المسافرين فكانوا يركبون فوق الأحمال، ويقاسون من ذلك كثيراً؛ لشدة الحر الذي يشبه السموم.

شكل (١٣) الشقاديف أحدى وسائل نقل الحجاج .

وبعد الانتهاء من الإجراءات يقلع الحجيج من "المبرز" إلى "عيذاب" عبر الصحاري القفرة في حوالي ثمانية وثلاثين يوماً، إذ تقطع الرحلة من "الفسطاط" إلى"عيذاب" في حوالي ستة وخمسين يوماً، نستدل ذلك من رحلة " ابن جبير" إذ سار من "الفسطاط" في السادس من المحرم سنة ٥٧٩هـ/١١٨٤م فوصل "عيذاب" في الثاني من شهر ربيع الأول من نفس العام. وعيذاب صحراء لا نبات فيها، وكل ما فيها مجلوب حتى الماء.

وبعد وصول الحجاج إلى عيذاب، كانوا ينتظرون أياماً صعبة؛ لعدم توفر الغذاء الضروري لحياة الإنسان، وإضافة إلى سوء أحوال الطقس، والطبيعة القاسية في هذا المرفأ، فهو كما وصفه ابن جبير" كل شيء فيه مجلوب حتى الماء، والعطش أشهى إلى النفس منه، فأقمنا بين هواء يذيب الأجسام، وماء يشغل المعدة عن اشتهاء الطعام،... فهي ماء زعاق، وجو كله لهب، فالحلول بها من أعظم المكاره التي حف بها السبيل إلى البيت العتيق،... وما أعظم أجور الحجاج على ما يكابدونه لاسيما في تلك البلدة!...، وقد وصفت هذه المدينة في الخيال الشعبي بأن النبي سليمان بن داود عليه السلام جعلها "سجناً للعفاريت".

بعد تلك المعاناة التي كان يلقاها الحجاج في عيذاب يركبون الجلاب إلى جدة، والجلاب هو نوع من المراكب التي كانت تسير في المحيط الهندي، والبحر الأحمر، ومفردها جلبة، وهي عبارة: عن قارب كبير، أو قنجة مصنوع من ألواح موصولة بأمراس ألياف النارجيل،

وقد استعملها أهل مصر، والحجاز، واليمن في نقل الحجاج والأزواد"[122]".

المرحلة الثالثة :

وتمتد من سنة ٦٦٧هجري الى ١٣٠١ وخلالها عاد الحجاج الى استخدام الطريق البري الساحلي ، حيث إن ابن فضل الله (القرن السابع) حدد مراحل طريق الحج المصري فقال :فإذا خرج الراكب من القاهرة نزل البركة على مرحلة واحدة، فيقيم بها ثلاثة أيام أو أربعة، ثم يرحل إلى السويس في خمس مراحل، ثم إلى نخل في خمس مراحل...، ثم يرحل إلى أيلة في خمس مراحل وبها العقبة العظمى، فينزل منها إلى حجز بحر القلزم، ويمشي على حجزه حتى يقطعه من الجانب الشمالي إلى الجانب الجنوبي، ويقيم به أربعة أيام أو خمسة، وبه سوق عظيم فيه أنواع المتاجر، ثم يرحل إلى حفل مرحلة واحدة، ثم إلى بر مدين في أربع مراحل وبه مغارة شعيب عليه الصلاة والسلام، ويقال أن ماءها هو الذي سقى عليه موسى عليه الصلاة والسلام غنم بنات شعيب، ثم يرحل إلى عيون القصب في مرحلتين، ثم إلى المويلحة في ثلاث مراحل، ثم إلى الأزلم في أربع مراحل. وماؤه من اقبح المياه، ثم إلى الوجه في خمس مراحل، وماؤه من أعذب المياه، ثم إلى أكرى في مرحلتين وماؤه اصعب ماء في هذه الطريق، ثم إلى الحوراء، وهي على ساحل بحر القلزم في أربع مراحل، وماؤها شبيه بماء البحر لا يكاد يشرب، ثم إلى

---

122- انظر ، ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، ص ١٢٥ وما بعدها .

نبط في مرحلتين وماؤه عذب، ثم إلى ينبع في خمس مراحل ويقيم عليه ثلاثة أيام، ثم إلى الدهناء في مرحلة، ثم إلى بدر في ثلاث مراحل، ثم يرحل إلى رابغ في خمس مراحل، وهي بازاء الجحفة التي هي الميقات، ثم يرحل إلى خليص في ثلاث مراحل، ثم إلى بطن مر في ثلاث مراحل، وفي طريقه بئر عسفان، ثم يرحل من بطن مر إلى مكة المشرفة مرحلة واحدة"[١٢٣]".

ووصف القلقشندي(ت ٨٢١هجري) الرحلة وزمنها فقال : عادة الحجاج أنهم يقطعون في كل يوم وليلة منها مرحلتين بسير الأثقال، ودبيب الأقدام "ويقطعونها كلها" في شهر ، بما فيه من أيام الإقامة بالعقبة والينبع نحو ستة أيام.أما من يسافر على النجب مخفا مع الجد في السير فإنه يقطعها في نحو أحد عشر.

ثم يصف المراحل في عصره وقد حج هو نفسه على هذا الدرب بقوله :

أول مصيرهم من القاهرة إلى البركة المعروفة ببركة الحاج؛ ثم منها إلى البويب، ثم منها إلى الطليحات، ثم منها إلى المنفرح، ثم منها إلى مراكع موسى، ثم منها إلى عجرود – وبها بئر ومصنع ماءٍ متسع يملأ منها – ثم منها إلى المنصرف، ثم منها إلى وادي القباب – وهو كثير الرمل – ثم منها إلى أول تيه بني إسرائيل – وهو وادٍ أفيح متسع – ثم منها إلى العنق، ثم منها إلى نخل – وبها ماء طيب – ثم منها إلى جسد الحي، ثم منها إلى بئر بيدرا، ثم منها إلى تمد الحصا، ثم منها إلى ظهر العقبة، ثم

---

123– ابن فضل الله ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، قسم مصر ، تحقيق / أيمن فؤاد السيد ، طبع القاهرة ، ص ٤٤ وما تلاها .

منها إلى سطح العقبة – وهو عرقوب البغلة على جانب طـرف بحـر القلزم، وفيها ماء طيب من حفائر – ثم منها إلى حفن على جانب طرف بحر القلزم – وفيها ماء طيب من الحفائر – ثم منها إلى عش الغراب، ثم منها إلى آخر الشرفة، ثم منها إلى مغارة شعيب – وبها ماء ومـصنع – ثم منها إلى وادي عفان، ثم منها إلى ذات الرخيم، ثم منها إلـى عيـون القصب – وبه ماء نبع وأجمة قصبٍ نابتة فيها – ثم منها إلى المويلحة – وبها ماء في آبار – ثم منها إلى المدرج، ثم منها إلى سلمى مجاور بحر القلزم – وبها ماء ملح – ثم منها إلى الأتيلات، ثم منهـا إلـى الأزنـم، والناس يقولون: الأزلم باللام بدل النون، وبه آبار بها ماء رديء يطلـق بطن من شربه، لا يسقى منه غالباً إلا الجمال، وهي نصف الطريق – ثم منها إلى رأس وادي عنتر، ثم منها إلى الوجه، وبه آبار قليلة الماء، وما هو داخل الوادي يعز الماء فيه غالباً ولا يوجد فيه إلا حفائر، ويقال: إنه إذا طلعت الشمس عليه نضب ماؤه، وفيه يقول بعض مـن حـج مـن الشعراء وعز عليه وجود الماء فيه: إذا قل ماء " الوجه" قل حـياؤه ولا خير في" وجهٍ" بغير حياء!

ثم منها إلى المحاطب، ثم منها إلى أكرا، ثـم منهـا إلـى رأس القـاع الصغير، ثم منها إلى قبر القروي، ثم منها إلى كلخا، ثم منها إلى آخـر القاع الصغير، ثم منها إلى الحوراء، وبها ماء غير صالح، ثم منها إلـى العقيق بضم العين تصغير عقيقٍ بفتحها، وهو مضيق صعب – ثم منهـا إلى مغارة نبط، وبها ماء عذبة ليس بطريق الحجاز أطيب منها، ثم منها إلى وادي النور، ثم منها إلى قبر أحمد الأعرج الدليل، ثم منها إلى آخر وادي النور، ثم منها إلى رأس السبع وعرات، ثم منها إلى دار البقر، ثم

منها إلى الينبع، وهي النصف والربع من الطريق، وبها تقع الإقامة ثلاثة أيام أو نحوها، وبها يودع الحجاج ما ثقل عليهم إلى حين العودة، ويستميرون منها مما يصل إليها من الديار المصرية في سفن بحر القلزم – ثم منها إلى المحاطب في الوعر، ثم منها إلى رأس وادي بدر، وهي منزلة حسنة بها عيون تجري وحدائق – ثم منها إلى رأس قاع البزوة، ثم منها إلى وسط قاع البزوة، ثم منها إلى رابغ، وهو مقابل الجحفة التي هي ميقات الإحرام لأهل مصر، وبها يحرم الحجاج ولا يغشون الجحفة، إذ قد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بنقل حمى المدينة إليها بقوله: " وانقل حماها إلى الجحفة" فلو مر بها طائر لحم قديد بضم القاف، ثم منه إلى عقبة السويق ثم منها إلى خليص – وبه مصنع ماء – ثم منها إلى عسفان ثم منها إلى مدرج علي، وهو كثير الوعر، ثم منه إلى بطن مر، والعامة يقولون: مرو، بزيادة واو، وبه عيون تجري وحدائق – ثم منه إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها، ثم من مكة إلى منى، وبها ماء طيب من آبار تحفر، ثم منها إلى المشعر الحرام والمزدلفة، ثم منها إلى عرفة وهي الموقف، وإليها ينتهي سفر الحجاج.ثم العود في المنازل المتقدمة الذكر إلى وادي بدر على عكس ما تقدم"[١٢٤]".

ولعل عبد القادر الجزيرى الحنبلى من أفضل من كتب عن دروب الحج وقافلة الحجاج هو هذا العلامة متعدد المواهب .ولد عام ٩١١هـ ، وكان والده كاتب ديوان الحج (بمعنى انه المسؤول عن ميزانية الحج وتنظيم المشتريات والمصاريف وعوائد العرب وغيرها) وقد ورث والده في هذه

---

[124] – أحمد بن على بن أحمد الفزارى القلقشندى " ٧٥٦-٨٢١هـ/ ١٣٥٥-١٤١٨م" ، صبح الأعشى فى قوانين الإنشاء ، ج٤ ، طبعة مصر ١٩١٤م ، ص ١١٢ وما تلاها .

الوظيفة منذ عام ٩٤٠هـ في أواخر عهد المماليك ثم بدايات العثمانيين واستمر في هذه الوظيفة أكثر من عشرين عاماً.كان الجزيري دقيقاً في كتاباته ويدل على هذا أنه كان يقيس المسافات الزمنية بآلة تشبه الساعة ويحدد وقت الاقامة والرحيل فيقول: ما حررته سنة ٩٥٥ هجري بمنكابين (المكاب نوع من الساعات )محررين: اما الطلعة فأربعة أرباع ساعاتها ٤٢٤ ساعة وثلثان من الساعة ومنازلها ٥٤ منزلة لا غير ، عن ذلك بحكم الدرج ٦٧٧٠درجة .

الربع الأول:١٦ منزلة من صحراء القاهرة الى عقبة أيلة وهو قليل الماء والشجر ساعاته ١١٢ ساعة وثلث من الساعة يكون عن ذلك بحكم الدرج ١٦٨٥درجة .

الربع الثاني(وهو موضوع رحلة فريق الصحراء هذا العام) وهو ١١ مرحلة وقال عنه انه أقصر الأرباع وهو أكثر مياه من الذي قبله وشجره كثير الى الغاية ساعاته ٩٥ وثلث من الساعة عنها بحكم الدرج ١٤٣٠درجة .

ظهر الحمار-١٠٠ درجة-وادي عفان-٢٦٠درجة-المظلو-٩٠درجة-مغارة شعيب-١٣٠ درجة-قبر الطواشي-٧٠ درجة-عيون القصب-١٦٠درجة-الشرمة-٧٥درجة-المويلح-١٤٠درجة-دار السلطان-١٢٥درجة-سيدي مرزوق-١١٠درجة-الأزلم-١٧٠درجة ، ثم ذكر دركه انه للرشيدات من بني عطية الى كبيدة جنوب مغارة شعيب ثم يكون الدرك لبني عقبة الى حدرة دامة ثم يكون الدرك لبلي .

الربع الثالث:١٤ مرحلة وهو من الأرباع المعطشة ان لم يكن بالوجه ماء وأطولها وأوحشها، ساعاته ١١٥ ساعة عنها ١٧٢٥درجة .

تلبة-١٦٠درحة -الشرنبة-١٠٠درجة-الوجه١٤٠درجة.

الربع الرابع من ينبع الى مكة المكرمة ١٣ مرحلة قال عنه :انه لطيف مأنوس ساعاته ١٠٢ عنها بحكم الدرج ١٥٣٠درجة .

ومما يشتمل عليه ديوان امرة الحاج ومسئوليات الجزيري: تجهيز الحمول، تجهيز الجمال وكان عدد الجمال للحملة يتراوح بين ١٤٠٠ الى ١٦٠٠ بعير وقد تقل الى ٨٠٠ في بعض السنيين وهذه فقط جمال الحملة الرسمية التي ينظمها الجزيري حسب الميزانية ولا تشمل جمال الحجاج، وكان الجزيري بحكم انه كاتب امرة الحج مسئولاً عن جامكية(رواتب)الموظفين الملحقين بالحملة واذا كنت أيها القاريء العزيز تظن أن هذا أمر بسيط فاليك نموذج من الوظائف التي لها جامكية كنموذج على مدى عظمة حملة الحج المصرية"[١٢٥]" .

<u>المرحلة الرابعة من ١٣٠١ الى الآن :</u>

توقف استخدام الطريق البري وصروا يسافرون بحرا من السويس. وجوا الى جدة.

---

[125]- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيرى الحنبلى ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق / محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص ١١٦اما تلاها .

## حالة الأمن فى الطريق المصرى :

ولم يكن طريق الحجيج المصرى إلى مكة بأحسن حالاً من الطريق العراقى واليمنى فى صعوبة اجتيازه ، فقد كانت تعترضه الكثيرُ من الصعوبات والأخطار من وقت إلى آخر ، على أن ما حدث فى أواخر سنة ٣٥٤هـ كان قمة تلك الكوارث التى تنزل بالحاج وتعطل الحج إلى مكة المكرمة ، فقد قطع بنو سليم الطريق على قافلة المغرب والشام ومصر الحاجة إلى مكة المكرمة ؛ إذ كانت قافلة عظيمة ضمت إلى جانب الحجاج الكثير من التجار القادمين من الشام هرباً من الروم ، وكانوا قد خرجوا بأموالهم وأهليهم وقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق ، فتمكن بنو سليم من اعتراضهم وقتلوا الكثير منهم ، واستولوا على جميع الأمتعة والأموال وعاد من بقى من الناس إلى مصر والشام . وهذه الحادث كانت من الشدة والقسوة بحيث شبهها البعض بتلك التى أحدثها القرامطة بحجاج العراق وخرسان فى الهبير سنة ٣١٢هـ [١٢٦] .

وفى ظل هذه الظروف لا يمكن إنكار الاهتمام من قبل أولى الأمر فى مصر ، بأمر الحجيج ، فكان الإخشيديون يدفعون للقرامطة مقابل حماية الحجاج فى الطريق المصرى وعدم التعرض لهم ثلاثمائة ألف دينار [١٢٧].

---

126– للاستزادة فى ذلك أنظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، تجارب الأمم ، مصر ، ١٩١٤م ، الجزء الثانى ، ص ٢١٥ .

127 – المقريزى ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، الجزء الأول ، ص ١٨٦ .

بل أن الفاطميين كانت عليهم تعهدات مالية تجاه قبائل الجزيرة العربية ، وكانت نفقات الجيش المرافق للقافلة السلطانية بلغت "ستين ألف دينار مغربى عدا التعهدات والصلات والمشاهدات وثمن الجمال التى تنفق فى الطريق" . وكانت عيذاب قد أصبحت مسلكاً للحجاج منذ كانت الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر ، وانقطع الحج عن طريق البر ، حتى يأمنوا طلبات القبائل الفادحة [١٢٨] .

**متى انتهى درب الحج المصري عبر البر؟**

يمكن اعتبار افتتاح قناة السويس وتطور السفن من أهم أسباب ترك الحجاج للبر وتفضيل البحر عليه فقد كثر عبور السفن من قناة السويس وقد يستغلون فراغ سفنهم بكسب المال عن طريق نقل الحجيج .

بدأت ظاهرة نقل الحجاج بالبابور البحري كما أرخها مؤرخ جدة بين عامي ١٢٧٥-١٢٧٩هجري .وقد كان الانجليزي ريتشارد بيرتون الذي كان في المويلح عام ١٢٩٥-١٨٧٨م شاهد عيان على تدهور القافلة السنوية بقوله: عندما عدنا الى المويلح كانت قافلة الحج قد فاتتنا وهي عائدة الى مصر ،لقد تدهورت حالة قافلة الحج من عزها منذ ربع قرن فبعد ان كانت تقاد من قبل باشا او اثنين صار يرأسها رجل برتبة بيه لقد تقلص عدد"المؤمنين" من آلاف كثيرة الى ما لا يزيد عن ٨٠٠ شخص. هذه السنة لم يمر منهم بالمويلح سوى ٨٠ بل ان المحمل صار ينقل بالبابور . كل هذا رغم ان عدد الحجيج الواقفين بعرفات زاد مؤخرا عن

---

128- على باشا بارك ، الخطط التوفيقية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٨٩٣ ، الجزء السادس ، ص ٣٠٠ .

ما مضى،صار الأغلبية يفضلون الإبحار على السفر بالبر،اما الأغنيـــاء منهم فيفضلون استئجار كبينة على بواخر "الكفار" اما الفقراء فيختارون السنابيك "المؤمنة"..اذا استمر هذا الوضع فلن يبق من قافلـــة الحـــج الا المحمل وحراسه قلت: قد صدق حدس بيرتون فقد تناقص عدد الحجـــاج ولم يعد يأتي مع الدرب البري سوى المحمل و٢٠٠ مـــن الجنـــود كمـــا وصف ذلك محمد باشا صادق سنة ١٢٩٧هجري ثم انه حتـــى المحمـــل جيء به عن طرق البحر سنة ١٣٠٢هجري"[١٢٩]" .

## انقطاع المحمل المصرى :

أما عن انقطاع المحمل، فقد كان بعد قيام حركة الضباط الأحرار بمصر إثر خلافات حكام المملكة الحجازية و جمال عبد الناصر سنة ١٩٦١ وقد أعد آل سعود بالحجاز مشغلاً لكسوة الكعبة علي طريقتهم خلافاً للعـــادة المتبعة علي مدار أكثر من سبع قرون، و من المؤسف أنه كان يـــصحب المحمل إلي الأراضي المقدسة ما هو محرم من مظاهر الاحتفال من طبل وزمر وهذا لم يكن لائقاً فضلاً عن كونه مبتدعاً، ولكن ليس من المعلوم أن هذا كان يحدث في أطوار المحمل المتقدمة لكن الثابت أنه حدث فـــي مراحل تطوره المتأخرة و خصوصاً في نهايـــة القـــرن الثـــامن عـــشر الميلادي و كان يصحب بتلك البدع و التي أنكرها الأمير سعود بن عبـــد العزيز النجدي والذي كان آخذاً بمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب حتي

---

[129]- محمد السنوسى ، الرحلة الحجازية ، تحقيق /على الشنوفى ، الشرة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٦ ، صفحات مختلفة + عبد القدوس الأنصارى ، الجزيرة العربية فى رحلتى ابن جبير والعبدرى ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، جامعة الرياض ، ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م ، صفحات مختلفة .

أنه أنكر صفة المحمل لدي السلطان العثماني سليم الثالث وطالبه بمنـــع والي مصر من مثل هذا الفعل، وكانت هذه فاتحة أبواب فتن وحروب في بدايات القرن التاسع عشر إلي أن أسر إبراهيم بن محمد علي سعود ابن عبد العزيز ودمر عاصمته الدرعيه وكان إعدامه سنة ١٨١٤ بالأستانة ( إسطنبول ) وبه انتهي عصر الدوله السعوديه الأولي ولكن التوتر والحذر تجاه المحمل ظل مستمرا حتي إبطاله وقد تجلي هذا التوتر فـــي حادثـــة المحمل بمني سنة ١٩٢٦ في عهد الملك عبد العزيز بعد سقوط الدولـــه العثمانيه"[١٣٠]".

130 – نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحات .



obeikandl.com